نشاطات الشيخ عبد الجبار –رحمه الله– الدعوية وخدماته الاجتماعية: دراسة تحليلية

The activities of Sheikh Abdul Jabbār in Islamic Da'wah and social services: an analytical study

محمد سليم الدين

أستاذ مساعد ، قسم علوم الحديث والدراسات الإسلامية

الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ

البريد الإلكتروني: solimshis83@gmail.com

ABSTRACT

Shah Muhammad Abdul Jabbār was the "Pīr (Spiritual Guide) of Baitush Sharaf", widely known to millions of people in Bangladesh. He was not only an individual, but a holistic non-political institution. He has sacrificed his life to spread Islamic teachings influenced by Sufi Ma'rifah and human welfare. He established many educational institutions and also founded various mosque-based humanitarian projects throughout the country. The main objective of founding "Baitush Sharaf" was to nurture people as real Muslims by training them so that they are able to make a balance between "Zuhd (Asceticism)" and "Being active in this life", between attaining higher humanitarian qualities and having worldly skills. Baitush Sharaf as a center of nourishing spirituality was founded by Sheikh Mīr Muhammad Akhtar, a renowned Muslim saint and spiritual leader. Just before his death, he nominated his prominent spiritual disciple Sheikh 'Abdul Jabbār as the successor of his noble mission. As a devoted follower, Sheikh Abdul Jabbār continued various Islamic and social welfare activities introduced by his mentor and completed them successfully by the mercy of Allah. As a result he became an ideal for the successors.

Keywords: Sheikh 'Abdul Jabbār, Baitush Sharaf, Da'wah, Social Welfare, Writing Books.

ملخص البحث:

محمد عبد الجبار، شيخ بيت الشرف الروحي، اسم محترم لدى ملايين المسلمين في دولة بنغلاديش، وهو ليس بشخص فحسب، بل هو بمثابة منظمة شاملة متعددة الأبعاد غير سياسية، ومكرّسة لممارسة التعليم الديني، والمعرفة الصوفية، ورفاهية الإنسانية، فنفَّذ العديد من مشاريع الرفاهية العامة المبدعة في جميع أنحاء البلاد. والهدف الأسمى من مؤسَّسته "بيت الشرف" هو تطوير الشخص كمسلم حقيقي من خلال الجمع بين الزهد في الدنيا والعمل فيها، واكتساب الصفات الإنسانية السامية، وإنشاء كوادر بشرية ماهرة، أسّسها الشيخ مير محمد أختر ابن أسرة من أُسر شيتاغونغ العريقة، فلما حضرته الوفاة أسند مسؤولية خلافته إلى تلميذه الشيخ محمد عبد الجبار، فقام بتنفيذ بالمهمات الدينية والاجتماعية التي بدأها شيخه، فأكملها بفضل الله تعالى، وأضاف فيها، فأصبح قدوة لمن خلفه.

الكلمات المفتاحية: الشيخ عبد الجبار، بيت الشرف، الدعوة، الخدمات الاجتماعية، تصنيف الكتب.

مقدمة

إن مما تمتاز به أمة محمد ﷺ، أن الله يبعث فيهم حينا بعد حينٍ علماء ربانيين الذين يتعلمون بالتعاليم الإسلامية السامية، ويتحلّون بالأخلاق النبوية، ويتمسكون بالآداب الإنسانية الرفيعة، فيسيرون على الطريق الجادة التي سار عليها سلف هذه الأمة، ويبذلون جهودهم الجبارة في خدمات الإنسانية، ويضحون أنفاسهم ونفائسهم لإنقاذ البشرية من الضلالة العمياء. ومن الحقائق التاريخية، أن الإسلام دخل في "بنغلاديش" بثلاث طرق: أحدها: التجار العرب الذين لهم علاقة تجارية بهذه البقعة منذ العصر الجاهلي، وثانيها: الدعاة الربانيون الذين كان همهم نشر الدعوة الإسلامية بين أبناء هذه البلاد النائية من مهبط الوحي الإلهي، وثالثها: الغزاة المسلمون الذين فتحوها وحرروها من أيدي الحكام الغاشمين، ومهدوا السبل لانتشار الدين الإسلامي فيها، وأزالوا العوائق المانعة من اعتناق الناس للدين الجديد. فللدعاة الربانيين دور مهم في تبليغ الدعوة الإسلامية ونشرها بين مواطني هذه البقعة الخصبة، فعلّموهم الإيمان والإسلام والقرآن، كما علّموهم الأخلاق والأعمال التي تقربهم إلى خالقهم الرحمان، وأنشأوا في أنحاء البلاد المساجد والمدارس ومراكز التزكية والإحسان. كان الشيخ عبد الجبار —رحمه الله– من زمرة هؤلاء العلماء العاملين المخلصين الزاهدين في الدنيا وما في أيدي الناس، والراغبين إلى ما عند الله — سبحانه وتعالى–، الذي أسّس كثيرا من امعاهد العلوم الدينية التراثية والعلوم التطبيقية المعاصرة، ودورا للأيتام واللاجئين، والمستشفيات ومراكز الصحة التي يستفيد منها الجميع بغض النظر عن جنسهم ولونهم ودينهم، وعمل لتوحيد صفوف المسلمين البنغلاديشيين علمائهم وعوامهم، كما أنشأ مركزا للبحوث العلمية ونشر الكتب الإسلامية الذي أثمر ثمرات يانعة كثيرة منها: "المصرف الإسلامي البنغلاديشي المحدود" و"الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ".

أهمية الدراسة ومشكلتها

كان الشيخ عبد الجبار –رحمه الله– من الأشخاص البارزين، ومن الأعلام المعدودين، تفوق على أقرانه، ولحق بمن سبقه في تقديم الأعمال الجليلة والخدمات العظيمة تجاه الشعب البنغلاديشي والأمة المسلمة، وكان فريدا في عصره، ووحيدا في زمانه، فيشار إليه بالبنان قلما يوجد مثله، فأصبح مذكورا على الدوام في حقل التعليم والتربية والخدمات الاجتماعية. فعلى من خلفه إبراز خدماته العلمية والاجتماعية في الساحة العالمية، والاتعاظ من سيرته المضيئة؛ وذلك من باب الشكر والتقدير على نعمة من نعم الله الجليلة، ومن باب الترغيب والتشجيع للناشئين رجاءً أن يترعرعوا على الفضائل والجود والأخلاق الكريمة. وتتمثل مشكلة الدراسة في إثبات جدارة العلماء في سيادة المجتمع وريادته، وتغيير وجهة أنظار عوام الناس تجاههم، بأن مهمتهم محصورة في جدران المساجد والمدارس، وليس لهم فضل في تطوير المجتمع والبلاد والعباد.

الأهداف من هذه الدراسة:

الأهداف التي من أجل تحقيقها أجرينا هذه الدراسة، هي كما يلي:

أ– الشيخ عبد الجبار يعرفه الكثير من البنغلاديشيين، ولكن لا يعرفه الأمم الأخرى، فأردنا إبراز شخصيته النادر أمام الأمة الإسلامية.

ب– تشجيع الآخرين بالتزود والاستنارة من حياة الشيخ عبد الجبار.

ج– تلفيت أنظار الشباب إلى مواجهة التحديات المعاصرة المعادية للإسلام كما واجهها الشيخ، ولهم فيه أسوة حسنة.

1– نبذة من حياة الشيخ عبد الجبار –رحمه الله–

نسبه ومولده ونشأته وتعلمه:

هو محمد عبد الجبار بن وصي الدين بن عليم الدين بن أصحاب الدين من قبيلة مياجي، ولد يوم الخميس بتاريخ 1933/2/1م في محافظة تانغو من بلاد بورما –مايانمار حاليا–في مجتمع بنغالي، وكان وصي الدين والد عبد الجبار مقيما في تانغو آنذاك من أجل التجارة حسب واقع ذلك الزمان ولكن كان أصله من منطقة "لوهاغارا" الواقعة في محافظة شيتاغونغ. و وتوفي سنة 1936م وعبد الجبار آنذاك ابن سنتين وستة أشهر، ثم قامت أمه برعايته وتربيته، وكانت من النساء الفاضلات[1].

ولقد شاءت حكمة الله –سبحانه وتعالى– أن ينشأ عبد الجبار نشأة يتيم، كما نشأ يتيما كثير من الأنبياء والصالحين والعلماء الربانيين الذين ترعرعوا على مشيئة الله وإرادته، وأسهموا في المجتمع البشري إسهاما جبارا. نشأ عبد الجبار في قريته نشأة عادية، ولكن ظهر فيه أمارات النجابة والامتياز عن الآخرين من أقرانه، فكان لا يحب الفوضى واللهو واللعب ورشاقة الطفولة، ولا يستزيد الطعام بل كان قانعا بما تيسر له من الطعام والشراب، وكان ملتزما بأداء الصلوات الخمس مع الجماعة منذ صغره، كما كان برا بوالدته ولم يكن عاقا شقيا. بدأ عبد الجبار

يتعلم القرآن الكريم على يد أمه الحنون، وبعد سنة ذهب إلى جاره العالم اسمه عبد الكريم، فأتم تلاوة القرآن الكريم وبعض الكتب الابتدائية المتداولة آنذاك، وذلك من خلال سنة واحدة[2].

التحق بالصف الرابع الابتدائي من مدرسة غارنغيا، المدرسة الشهيرة بشبه محافظة ستكانيا، سنة 1940م وعمره حينئذ يتراوح بين السادسة والسابعة، وكان ذكيا ومجتهدا ومواظبا في الدراسة فأتم مرحلة الداخل (الثانوية) سنة 1947م، ومرحلة العالم (المتوسطة) سنة 1949م، ومرحلة الفاضل (بكالوريوس) سنة 1951م بدرجات متفوقة، فمنحته المدرسة ميدالية فضية اعترافا بنجاحه الباهر. ثم التحق بمرحلة الكامل (الماجستير) من مدرسة دار العلوم العالية، المدرسة المشهورة بمدينة شيتاغونغ، عام 1951م، ودرس فيها سنتين مجتهدا للحصول على التخصص في الحديث النبوي الشريف – على صاحبه أفضل الصلاة وأزكى التسليم–، فتخرج فيها حاملا لشهادة "ممتاز المحدثين"[3].

العوامل التي أثرت في تكوين شخصية الشيخ عبد الجبار –رحمه الله–

الإنسان جُبل ليعيش في المجتمع؛ بل جميع الحيوانات تعيش مجتمعة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[4] . قال قتادة –رحمه الله– في تفسير الآية: الطير أمة، والإنس أمة، والجن أمة[5]. فالبيئة والتعليم والتربية تؤثر على الفرد، فلا يكاد يخرج منه إلا نادرا. بناء على ذلك، قد تأثر الشيخ عبد الجبار في حياته بالبيئة التي أحاطته من كل جانب، وفيما يلي نذكر أهم العوامل التي أثرت على هذه الشخصية الفذة، وهي:

أ– جودة الأصول والعروق:

الأبوان وما فوقهما من الأصول بمثابة البذور ومنابت الأشجار، فإذا كانت البذرة صالحة وجيدة النوع، والأرض صالحة وخصبة، تنبت بإذن الله شجرة طيبة جذورها ثابتة في الأرض وفروعها باسقة في السماء تؤتي ثمارها كل حين، كما قال الله –تبارك وتعالى–: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾[6]، قال الإمام الطبري في تفسير الآية: "والبلد الطيبة تربته العذبة مشاربه، يخرج نباته إذا أنزل الله الغيث، وأرسل عليه الحيا بإذنه طيبا ثمره في حينه ووقته. والذي خبث فردؤت تربته وملحت مشاربه، لا يخرج نباته إلا نكدا أي: عسرا في شدة"[7]، فجودة العروق مثل الأرض الطيبة لها تأثير عميق في تشكّل أخلاق الإنسان وسلوكه. ومما يؤيد هذه النظرية، الحديث الذي رواه الإمام السيوطي –رحمه الله– بسند حسن[8] عن علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– عن النبي ﷺ، أنه قال: "خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء"[9]، والحديث الذي رواه ابن ماجه وغيره "تخيروا لنطفكم، فانكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم"[10]. قال الشيخ الألباني –رحمه الله– بعد جمع طرق الحديث كلها: الحديث بجميع طرقه ومتابعاته صحيح بلا ريب، ولكن يجب أن يعلم أن الكفاءة إنما هي في الدين والخلق فقط[11]. فاختيار الزوجين الصالحين فيما بينهما، ومراعاة الكفاءة والفروق في بعض الصفات التي تساعد على استقرار البيوت، أمر مطلوب شرعا. والحديث يأمر المسلمين بأن تخيروا النساء ذوات

الدين والصلاح والنسب الطيب لئلا تضعوا مُنْيَكم إلا في أصل طاهر، فانكحوا أمثالكم في الدين والنسب والمعيشة، وزوّجوا من في ولايتكم من البنات والأخوات بالأكْفاء[12].

لقد أصبح "قانون الوراثة" من حقائق علم النفس، مفاده: أن الصفات ذات الطابع الأخلاقي والمعنوي في داخل الإنسان تنتقل عبر الجينات الوراثية، التي لها تأثير فعال في تكوين معظم الصفات الشخصية، فلا يرث الإنسان جسده من أصوله فحسب، بل يرث الطبائع الأخلاقية والشخصية أيضا. والنفس لها استعداد مكنون وملكة القبول لما شابهها من الصفات والأخلاق، فالتي انحدرت من عروق طيبة متصفة بالفضائل فهي تقبل بمثلها من المكارم، وكذلك عكسها، فإنها إن كانت منحدرة من أصول رذيلة، تقبل الرذائل. فحسن الخلق ينبئ عن جودة عرق صاحبه. اللهم إلا، أن الإنسان يستطيع أن يتخلّص من أخلاقه السيئة، ويحفّز فيه المواصفات الإيجابية من خلال إرادته القوية وتربية نفسه المستمرة، وهذه العملية رغم صعبها ممكنة إذا توبعت بمداومة الصبر والتدريب. لقد أثبت باحثون من جامعة بافلو الأمريكية، أن الجينات الوراثية تسيطر على طباع وسلوك وشخصية الإنسان، فقالوا: إن الإنسان لا يكتسب القلب الطيب والخصال الطيبة أو الخبيثة من البيئة التي أحاطت به، بل اكتسبها عبر الجينات الوراثية[13].

في ضوء ما سبق، ندرك أن الشيخ عبد الجبار اكتسب الخصال الحميدة، والورع، والزهد من والديه الكريمين، فكان أبوه –رحمه الله– رجلا عالما، وتاجرا متدينا يحب العلماء، والصالحين، والزهاد، وملتزما بالفرائض مع المواظبة على النوافل من تلاوة القرآن الكريم وصلاة الضحى وصلاة التهجد وغيرها من الأمور المتعبدة، كما كان متحليا بصفة السخاء والكرم يتصدق على الفقراء والمساكين على الوجه الدائم، فيطعمهم ويكسوهم، ويحمل مؤونة علاجهم ونكاح بناتهم. وكانت أمه امرأة فاضلة متعلمة بالتعاليم الإسلامية، متورعة كريمة مشتغلة بالعبادات وخدمة الزوج وتربية الأولاد[14]. وقد لوحظ انعكاس تلك الصفات الرفيعة والسمات المتميزة وآثارها الفعالة على حياة الشيخ عبد الجبار –رحمه الله– العملية.

ب– النشأة في بيئة دينية:

تتفاعل البيئة الخارجية والظروف المادية والاجتماعية المحيطة بالإنسان مع عوامله الداخلية المرتبطة بالمكونات الموروثة من الآباء، فتؤثر في تشكيل سلوكه وتحديد اتجاهاته. وكذلك، الأسرة أيضا تؤثر في تحديد سلوكه وتقويم شخصيته الفكرية والنفسية؛ حيث ينعكس تعامل أفرادها مع الأولاد الناشئين على اتزانهم الانفعالي والعاطفي والنفسي، ولهذا قد يتباين الحالة النفسية من شخص إلى شخص آخر ولو نشآ في أسرة واحدة، تبعا للمعاملات التي عُوملت به[15].

ولقد نشأ عبد الجبار في قرية سادت فيها بيئة دينية وودِّية وروحية، ولد فيها كثير من العلماء الصالحين والزهاد القانعين، والرجال المصلحين، وحولها مدارس إسلامية كبيرة، ومن أهمها مدرستان عظيمتان:

الأولى منها: المدرسة الحكيمية العالية (مرحلة الفاضل آنذاك) في صونوتي المؤسسة سنة 1810م، وقام بتأسيسها الشيخ عبد الحكيم –رحمه الله– الذي شارز في معركة بالاكوت التاريخية، وتلمذ عند السيد أحمد بن عرفان المستشهد في تلك المعركة[16].

وأما المدرسة الثانية هي: المدرسة الإسلامية العالية (مرحلة الفاضل آنذاك) في غارنغية التي أسسها العالم الرباني المتصوف عبد المجيد –رحمه الله– سنة 1920م[17].

لهاتين المدرستين تأثير كبير على تلك القرية التي ولد فيها عبد الجبار –رحمه الله–، فتغذى من غذائها الروحاني، وارتوى من منهلها العذب، ونما جسمه وقوامه من هوائها النقي الطلق، وترعرع ويركن قلبه وقالبه إلى هذه المفاهيم العظيمة والمعاني السامية.

ج– التعليم والتربية:

وقد سبق، أن الشيخ عبد الجبار –رحمه الله– فقد أباه الكريم في نعومة أظفاره، وعمره آنذاك قد تجاوز ثلاثين شهرا فقط، فنهضت والدته الحنون بأعباء تعليمه وتربيته، وكانت امرأة فاضلة ومتدينة ومتعلمة، فقامت نفسها بتعليمه الابتدائي سنة 1937م وهو يتراوح بين السنة الرابعة والخامسة من عمره. ولما بلغ الخامسة من عمره، أرسلته أمه إلى عالم ناهض من جيرانهم يقال له عبد الكريم، فواصل السير في درب التعليم عنده حتى نهاية سنة 1939م، وتعلم منه تلاوة القرآن الكريم كله مع التجويد، كما درس عنده كتاب اللغة الأردية الأول (اردو كي پہلی كتاب)، ومن كُتُب الشاعر الفارسي شيخ سعدي: "كريمة" و"غلستان" و"بستان" (كريمة ، گلستان ، بستان).

ثم التحق ب"المدرسة الإسلامية العالية" بغارنغية، سنة 1940م، في الصف الرابع الابتدائي، وهو ابن سبع سنين. وكان إيابه وذهابه إلى المدرسة مع أستاذه الأول بعد أمه الشيخ عبد الكريم، وكانت الدراسة هي شغله الشاغل أثناء مكثه في هذه المدرسة العريقة، ولم يستطع الفقر أن يمنعه من الدراسة، بل يسر الله عليه طلب العلم الديني، لما فيه من الصدق والأمانة والإخلاص مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[18]، فاجتاز الاختبارات المركزية من "الداخل" و"العالم" و"الفاضل" بتفوق بالغ، حتى أكرمه القائمون على المدرسة الإسلامية بميدالية الفضة[19].

ثم التحق بمدرسة دار العلوم العالية سنة 1951م، في مرحلة الكامل للتخصص في علم الحديث، فواظب في الدراسة واجتهد فيها، وعكف عليها، وبعد سنتين كاملتين شارك في اختبار الكامل المركزي، وحصل على شهادة "م**متاز المحدثين**"[20].

د– المشاركة في النشاطات الثقافية:

كان عبد الجبار له لحن جميل وصوت جذاب، فكان يساهم في الحفلات الدينية بتلاوة القرآن الكريم وإنشاد الأناشيد الإسلامية باللغة الأردوية والفارسية، فكان يقرض الأناشيد بمساعدة أصدقائة ويغنيها أمام

الجماهير ويجذب قلوبهم، فيعطونه بهدايا ثمينة، ويتقوى بها في مواظبة السير على درب العلم والمعرفة[21]. ولهذا الصوت الجميل واللحن الجذاب أثر كبير على حياته المستقبلية.

هـ – التصوف:

كما سبق، ولد الشيخ عبد الجبار في مكان غلب عليه وعلى أهله صبغة التصوف؛ حيث كانت قريته محاطة بمراكز التصوف الشهيرة ذاك الوقت، وهي: المدرسة الإسلامية العالية بغارنغية، والمدرسة الحكيمية العالية بصونوتي، ومركز ميرزا كهيل وغيرها، كما ورث التصوف من أبويه، فكانا مريدين مخلصين للشيخ المتصوف الأستاذ محمد عبد المجيد المؤسس للمدرسة الإسلامية العالية بغارنغية. من هنا غُرس في قلبه بذر التصوف، أخرج شطأه، فاستغلظ فاستوى على سوقه، فأصبح كشجرة ثابتة جذورها، وباسقة فروعها.

أبرز الشخصيات الذين تأثر بهم الشيخ عبد الجبار رحمه الله في حياته الصوفية:

ولقد تأثر عبد الجبار أثناء دراسته في المدرسة الإسلامية بغارنغية بثلاث شخصيات كبار في الطريقة الصوفية، وهم:

الأول: العالم الرباني المتصوف الشيخ/ **عبد المجيد** (المتوفى سنة 1977م) المؤسس للمدرسة الإسلامية العالية بغارنغية سنة 1920م، وأول مدير لها منذ تأسيسها حتى نهاية سنة 1969م، والذي أخذ البيعة سنة 1923م حسب الطرق الصوفية على يد الشيخ الحافظ/ حامد حسن العلوي الأعظمغري – من شيوخ الصوفية المشهورين في الولاية الشمالية من ولايات الهند–، وأصبح خليفة للشيخ العلوي سنة 1946م. فكان الشيخ عبد المجيد –رحمه الله– ممارسا لأعمال الطريقة الصوفية جنب إدراة الشؤون المدرسية، وكان كثير من الناس بايعوا على يده لسلوكهم على طريقته ولقبوه ب"الحضور الكبير لمركز غارنغيا" حسب اصطلاح شبه القارة الهندية، معناه: الشيخ الكبير. وكان عبد الجبار تلميذ مباشر لهذا العالم الرباني، ومن ناحية أخرى، كان أبواه مريدين له، فتأثر به كثيرا.

والثاني: العالم الرباني المتصوف الشيخ/ **عبد الرشيد** (المتوفى سنة 1994م) شقيق الشيخ عبد المجيد الصغير، الذي تولى رعاية شؤون المدرسة الإسلامية العالية بغارنغية بعد أخيه الكبير الشيخ عبد المجيد من سنة 1969م إلى سنة 1977م، والذي سار على مسيرة أخيه الكبير في أخذ البيعة من الشيخ حامد حسن العلوي الأعظمغري المذكور سنة 1930م، والاستخلاف منه سنة 1955م، ولقبه الناس ب "الحضور الكبير لمركز غارنغيا" معناه: الشيخ الشيخ الصغير. وقد تتلمذ عبد الجبار عنده، فتأثر به.

والثالث: العالم الرباني المتصوف الشيخ/ **مير محمد أختر** (المتوفى سنة 1971م) المؤسس لمدرسة بيت الشرف الواقعة في مدينة شيتاغونغ، البعيدة من قرية عبد الجبار؛ ولكن من قضاء الله وقدره، أن فاجأه اللقاء معه، حيث إن الشيخ مير محمد أختر زار قرية "كوميرا غونا" مسقط رأس عبد الجبار، سنة 1945م، بدعوة أحد سكانها. ولقد تلقى التلميذ عبد الجبار خبر زيارة الشيخ إلى قريته، فحضر الجلسة مع بعض أصدقائه، وتفقد أحواله. وفي

أثناء الحديث تعرف على ذكائه المتوقد وحسن صوته، فطلب منه الشيخ أن ينشد عليه أنشودة إسلامية، فسُر سرورا بالغا بعد الاستماع لأنشودته، ودعا له بالخير. وهكذا وُفّق له زيارته مرارا، فتأثر به وأخذ البيعة منه سنة 1948م، واستخلفه سنة 1971م[22].

حياته الأسرية:

تزوج الشيخ عبد الجبار في سن العشرين من عمره بمساعدة ووساطة شيخه مير محمد أختر، فأنجب ثلاث بنين، وخمس بنات. كان في أسرته أسوة حسنة: زوج ودود، وأب رحيم، وقوّام متين مقيم لشرائع الإسلام في شؤون أسرته كلها، وزاهد في الدنيا وما في أيدي الناس، وقانع بما آتاه الله من الرزق، ومحترم لرأي زوجته، ومساعدها في شؤون البيت[23].

وفاته:

توفي الشيخ عبد الجبار يوم الأربعاء بتاريخ 1998/3/25م في الساعة السابعة صباحا، مستعدا لصلاة الإشراق بعد الانتهاء من أذكاره اليومية المعينة للصباح، فلفظ نفسه الأخير ملتفظا الشهادتين، وهو عمره جاوز خمسا وستين سنة[24].

2– أعماله المهنية:

بعد أن أكمل الشيخ عبد الجبار مرحلة الكامل التخصص في الحديث، استشار مرشده وشيخه مير محمد أختر، فأشار عليه ليختار مهنة التدريس، فوافقا عليها، ولم يكن التدريس لديه مهنة يتكسب بها فحسب، بل كان همه خدمة الدين. وانخرط في سلك هيئة التدريس في مدرستين كبيرتين من مدارس شيتاغونغ، بنغلاديش، وهما:

أ– المدرسة الواجدية العالية بشيتاغونغ:

المدرسة الواجدية العالية تقع في ضواحي مدينة شيتاغونغ، أسسها العالم المتصوف الشيخ/ **واجد علي خان** سنة 1900م، وحصلت على الموافقة من قِبل "مجلس التعليم لمدارس بنغلاديش الحكومية" لتدريس مرحلة الداخل والعالم والفاضل سنة 1939م، كما حصلت على الإذن لتدريس التخصص في الحديث النبوي سنة 1955م، وتخرج فيها كثير من المحدثين والفقهاء والدعاة

التحق الشيخ عبد الجبار بالمدرسة الواجدية العالية كمدرِّس مساعد أول يناير سنة 1954م، ثم ارتقى إلى درجة المحدث بعد ما لوحظت منه أمارات الصلاح والإخلاص والنشاط والفطنة، فكان يدرِّس فيها الكتب الستة المشهورة في علم الحديث النبوي الشريف —على صاحبه الصلاة والسلام–، وأبدع فيها، وأقام في هذه المدرسة أربعة عشر عاما متتاليا. وفي أثناء إقامته فيها كان يطالع أمهات الكتب الإسلامية بجد واجتهاد، كما كان يمارس الوظائف الصوفية اليومية المعينة من قِبَل مرشده بكل دقة وإخلاص[25].

ب– مدرسة بيت الشرف العالية النموذجية:

حينما تم تأسيس مدرسة بيت الشرف سنة 1982م، عُيِّن الشيخ عبد الجبار كمدير مؤسس لهذه المدرسة العظيمة، وبعد التقاعد من منصب المدير، عمل كمشرف عام على المدرسة بداية من سنة 1997 إلى قبيل الموت سنة 1998م من دون أجرة. وكان الشيخ يدرِّس فيها كتاب "الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه" للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخري –رحمه الله– المعروف بصحيح البخاري، وكتاب "الجامع الكبير" للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، المعروف بجامع الترمذي أو سنن الترمذي.

منهجه في تدريس الحديث:

كان الشيخ عبد الجبار يجل العلوم الإسلامية عامة وعلم الحديث النبوي خاصة، فيستعد لتدريسه استعدادا كاملا، ويتهيأ له، فيتوضأ مسبغا، ويحسن الهندام، ويتطيب له، ثم يحضر قاعة محاضرات الحديث النبوي، ويتبع المناهج الآتية:

1- في المحاضرة الأولى كان يذكر أمام تلاميذه سنده الكامل إلى النبي ﷺ.

2- كان يذكر نبذة من تراجم أسماء الرجال المذكورة في الحديث، ثم يقوم بشرح متنه.

3- لم ينحصر في استخراج المسائل الفقهية فحسب، بل كان يربط فقه الحديث بالوقائع الجارية.

4- كان يشرح الحديث بلغة سهلة سلسة حتى يتضح المفهوم لدى جميع الطلاب، ويتجنب الغرابة وفضول الكلام والاستطراد.

5- إذا احتاج إلى ذكر مرجع من مراجع الحديث في أثناء المحاضرة، ذكر ترجمة موجزة عن صاحبه وكتابه، حتى يرغب الطلاب فيه.

6- كان يجتهد ليغرس في نفوس الطلاب حب النبي ﷺ وأصحابه، والسلف الصالح، والأئمة المجتهدين.

7- كان يستمع إلى أسئلة الطلاب برغبة، ويحثهم للسؤال، فإن لم يستطع الإجابة الارتجالية يطلب المهلة من السائل، ثم يجيبه لاحقا.

8- حسب تراث شبه القارة الهندية، كان يشرح الحديث من منظور الفقه الحنفي، ويستدل من الكتب الستة حتى يظن الطلاب أن الفقه الحنفي أقرب إلى السنة النبوية[26].

3– مناقبه:

كان الشيخ عبد الجبار قضى حياته من طفولته إلى وفاته على ضوء كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وأخلاق سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأولياء الله المشهورين، وفيما يلي بعض من صفاته ومناقبه:

أ– لباسه:

اللباس من نعم الله تعالى على عباده وإحسانه عليهم، حيث يتفضل الله تعالى علينا بقوله: ﴿يَٰبَنِيٓ آدَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾[27]، وقد

بيَّن النبي ﷺ الطريقة المثلى في اللباس، فتوسط بين الترفع والابتذال فيه، وأرشد المبتذل إلى تحسين هيئته حتى لا يزدريه الناس؛ حيث قال: "إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده"[28]، هكذا أرشد المترفع فيه إلى البذاذة؛ حيث قال ﷺ: "البذاذة من الإيمان"[29]، والبذاذة هي التقحل[30]، والتقشف في الملبس، قال ابن عبد البر: كان النبي ﷺ يرجّل شعره ويستاك، ويقص شاربه ما يدل على أنه ليس من السنة ما يخالف حسن الهيئة في اللباس، إنما أراد من البذاذة طرح الشهوة في اللباس والتبذير فيه لباعث التبختر والبطر[31].

كان عبد الجبار –رحمه الله– يلبس الملابس البسيطة المتداولة بين علماء بنغلاديش في ضوء القرآن والسنة، ويتجنب الملابس الفاخرة؛ فكان يلبس الجبة المغطية من العنق إلى فوق الكعبين، ويرتدي تحت الجبة الفانلَّة، والإزار أو السروال، ويلبس القلنسوة المدورة على رأسه، ويعلق الغترة على عاتقه، ويفضل لبس الأحذية المصنوعة من جلود الأبقار.

ب القناعة والقصد في المأكل والمشرب:

لم يكن حريصا على حطام الدنيا، بل كان قانعا بما آتاه الله تعالى ويسَّر له من الرزق، ويحث الناس ليقابلوا الحاجات غير المحصورة بالأموال المعدودة قائلا: "ليس البخل حلًّا لقضاء الحياة بالدخل اليسير، بل الحل في القناعة والبذل بالتخطيط، وإلا لينفد أموال قارون الطائلة أيضا، والناس يسعون وراء تبسيط أرزاقهم، الذي ليس تحت مقدوره، بل هو قادر على القناعة والإنفاق بالتخطيط"[32].

ج– ورعه وعبادته:

كان يتحرى الورع والتقوى في كل أمر من أموره، ولا يخاف في الله لومة لائم، ويعمل بالعزائم ولا يأخذ الرخص، ويلازم صلاة التهجد، والإشراق، والضحى، والأذكار الصباحية والمسائية راطبا لسانه بذكر الله وغيرها من العبادات النافلة بعد أداء الفرائض. كان قلبه معلقا بالمساجد حيث يسارع إليها بعد سماع الأذان، ويخرج منها أخيرا، ويحث عليها تلاميذه ومريديه[33]. وكان أمينا وفيًا لم يخن قط، يعترفه الداني والقاصي، وقد وُجد جميع وثائق بيت الشرف وأمواله بعد وفاته، حيث قال عنه خليفته: "كان مرشدي وشيخي أعظم الأمناء في عصره، فكان أمينا على الشريعة والطريقة، كما كان أمينا على الأمور الدنيوية"[34]. كان متواضعا جدا رغم كونه عالما متبحرا، ومتبوعا لأناس كثيرين، ويرحم الصغير ويؤقر الكبير، إلا أنه يحترم أساتذته ومرشده أكثر من الآخرين. كان يأتي إليه الملايين من الأموال، لا يأخذ منها شيئا لنفسه، بل كان ينفقها في وجوه الخيرات، وقضى حياته مع أهله في الكوخ الذي وجده موروثا من أبيه[35].

د– الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتزكية قلوب الناس:

كان واعظا وناصحا للأمة، وداعيا إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ومن ناحية أخرى كان مغيرا للمنكرات بيده ولسانه وقلبه، ومقاوما للظلم والأمور المخالفة للإسلام ومصلحة المسلمين، ومصلحا وطبيبا للأمراض القلبية، فكان يزكيها بالقرآن والسنة والزهد والتصوف والمجاهدة. وكان منهجه في إصلاح المجتمع، أنه لم

ينتم إلى أي حزب من الأحزاب السياسية السائدة في بنغلاديش بل كان يعتقد أن المراد بالسياسة الإسلامية، هو إصلاح المجتمع بتزكية قلوب الناس، وإيقاظ الوعي الإسلامي، وإعادتهم إلى الثقافة والحضارة الإسلامية، وخدمة الإنسانية. فساهم في تطبيق تعاليم الإسلام في الفرد والأسرة والمجتمع والدولة بمبادرة النشاطات البناءة، وبدأ بالثورة الاجتماعية قبل بدأ الثورة الوطنية بإصلاح المجتمع وإعادة تأهيل أهلها، وكان يسمي إقامة القدوة الإسلامية في المجتمع بخدمة الدين، فكان يقول: "كان النبي ﷺ وخلفاءه قاموا بالسياسة وإدارة الدولة، فالكلام ضد الظلم والمنكر لا يعني المشاركة في السياسة السائدة في دولتنا، بل هو خدمة الدين"، وطريقة عمله أن لا يباشر في النشاطات السياسية، ولكن إذا إذا تقدمت منظمة ما لمنع الأنشطة المعادية للإسلام، فإنه يدعمها بجدٍّ مع الحفاظ على مميزاته الخاصة به[36].

هـ– الاعتماد على ذاته مع التوكل على الله

معنى الاعتماد على الذات هو قيام الشخص بتحمل مسؤولياته وإنجاز أعماله معتمدا نفسه دون مساعدة غيره[37]. ومعنى التوكل على الله عز وجل: اعتماد القلب على الوكيل وحده سبحانه، وطلب الرزق بالبدن[38]. وقد أكد الإسلام على طلب كسب الحلال والاستغناء عن الناس بترك تسولهم، وهذا الاستغناء يأتي باعتماد الإنسان على ذاته في الظاهر، واعتماد قلبه على الرزّاق. وكان الشيخ عبد الجبار من الذين يتوكلون على الله سحبانه وتعالى ويتخذون الأسباب المتاحة لطلب الكسب الحلال، ويستغنون عن الناس، فكان يبيع العسل والعطر والكتب، وينفق على أهله وعياله من ربح البيع، وكان يقول: "التجار من سنن النبي ﷺ، ففي الاتجار استنان بسنته، واتخاذ وسيلة من وسائل الكسب الحلال"[39]. فبهذه الخصوصية امتاز الشيخ عن معظم مشايخ الطرق الصوفية البنغلاديشيين الذين يعتمدون في معاشهم على عطايات المريدين.

و– الكرم والسخاء

كان الشيخ عبد الجبار مشهورا بسخائه وكرمه، فكل ما أتى إليه من الهدايا والعطايا التي جاوزت ملايين من النقود؛ لم يأكل منها ولم ينفقها على أهله، بل أنفقها كلها في المشاريع الخيرية للإنسانية جمعاء من بناء المساجد والمدارس والملاجئ والمستشفيات، كما يمد يده إلى من أتاه سائلا أو مستنجدا، فانتفع منه الداني والقاصي، والمعروف والمجهول، على اختلاف مراتبهم الاجتماعية، وكان سبّاقا في إغاثة الملهوفين والمصابين بالكوارث الطبيعية، على اختلاف دينهم.

ز– السماحة:

كان –رحمه الله– رجلا سميحا يستقبل الناس بوجه طلْق وصدر رحيب، ويحترم العلماء على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، ويرحم الصغار ويوقِّر الكبار، ويخدم الناس على اختلاف أجناسهم وأديانهم، ويترفَّع عن الحزبية والطائفية والعصبية، ويسمع كلام الآخرين بصبر ووقار. ومن سماحته أنه كان يرى، أن للنساء حق التعلم والتعليم والعمل؛ ولكن بشرط الحجاب وعدم الاختلاط. ولما سئل عن التحاق الطالبات بالجامعة الإسلامية

العالمية شيتاغونغ التي كان يرأس أمانتها الشيخ، أجاب قائلا: "يجب أن تحصل الطالبات المسلمات على التعاليم الدينية، كما يجب على الطلاب المسلمين، فإذا كان نظام الحجاب سائدا، ومحاضراتهن منفصلة عن الطلاب، فلا حرج"[(40)]، بينما يرى الكثيرون من علماء عصره أن النساء لا يحتجن إلى الدراسات المتوسطة أو الجامعية، بل يكفي لهن التعاليم الضرورية للدين.

ح– حمل الأفكار الراقية وتنفيذها:

مما يمتاز به الشيخ عبد الجبار عن معاصريه من العلماء والمشايخ، حمل الأفكار الراقية والآراء المتقدمة. حينما اشتغل الآخرون من مشايخ الصوفية بالزوايا والخانقات، وعلماء الشريعة بالمدارس والتدريس فحسب، لم ينحصر الشيخ في الزاوية والتدريس فقط، بل تفوق عليهم بحمل الأفكار المتطورة، ثم تطبيقها في الواقع، مثل: تأسيسه "**مركز البحوث الإسلامية ببيت الشرف**" لدراسة البحوث الإسلامية، والعلمية، والاجتماعية. في هذا المركز أقيمت ندوات علمية كثيرة، ومن أهمها: ندوة على **"نظام مصرفي بدون فوائد ربوية"** في 26 و27 إبريل عام 1981م برئاسة الشيخ عبد الجبار وحضور كبار العلماء المتخصصين في الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد العام، وإنشاء **"إسلامي بنك بنغلاديش ليميتيد"** (المصرف الإسلامي المحدود في بنغلاديش) نتيجة لتلك الندوة؛ وندوة علمية حول تأسيس **"الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ"** بتاريخ 14 سبتمبر عام 1992م تحت رئاسة الشيخ عبد الجبار، وحضر فيها نخبة من العلماء والمربين المتخصصين من شتى الجامعات البنغلاديشية، وغيرها من الندوات التي ساهمت في إنشاء مشروعات خيرية.

ط– كان مجمع التيارات الفكرية

اجتمع فيه الخصال المحمودة، والتيارات الفكرية ظاهرها التصادم، ولكنه جمع بينها ووازن فيها؛ فهو محدث ومتصوف، شيخ وعامل، مصلح اجتماعي من دون انتماء إلى حزب سياسي، محبوب لدى الجميع على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم ومشاربهم –ولا يكاد يصدَّق في بيئة بنغلاديشية أن يكون أحد محبوبا لدى الجميع– ، شيخ الزاوية ومحب للعلوم الإسلامية والعلوم التطبيقية المعاصرة، كان يأخذ عطايا الناس ولم يأكل منها شيئا – مخالفا لمشايخ الطرق الصوفية الآخرى السادئدة في بنغلاديش في هذه الخصلة–، متوكل على الله ومتخذ بالأسباب، مؤسس المدارس ومؤسس مركز البحوث، مخدوم وخادم الإنسانية، محترَم لدى الخلق ومحترِم للآخرين، هكذا نجد في حياته أوصاف لا تكاد توجد عند الآخرين.

الجوائز التي حصل عليها:

الشيخ عبد الجبار وهب حياته كلها في خدمة الإسلام والإنسانية، فأسهم في التعليم واالتربية، والخدمات الاجتماعية من بناء المساجد والمدارس والمستشفيات ودور الأيتام وغيرها، وابتغى بذلك وجه الله سبحانه وتعالى، ولم يرد الرياء والسمعة أو الشهرة؛ ولكن المؤسسات الوطنية والعالمية اختارته لمنح الجوائز اعترافا بخدماته، ومن أهمها:

1- "الهيئة الاجتماعية الخيرية شيتاغونغ" (Chattogram Social Welfare Parishad) قدمت إليه الميدالية الذهبية اعترافا بخدماته الاجتماعية، وذلك بتاريخ: 1991/10/25م.

2- قُدِّم إليه "الجائزة الدينية" من قبل "المجمع الدايمي بنغلاديش" (Dayemi Complex Bangladesh (UN Inc.)

لبناء المساجد ونشر الإسلام والتصوف.

3- مُنحت جائزة هيئة الأخبار الجارية (Current News) للخدمات الإنسانية عام 2001م بعد وفاته بثلاثة أعوام.

4- أعطيت جائزة "الهيئة الإسلامية الاجتماعية الخيرية شيتاغونغ" لخدمات المجتمع في ضوء الإسلام، وإصلاح الناس. والجائزة اشتملت على الدرع الذهبي والنقود البنغلاديشي، عام 2003م.

5- أُكرِم الشيخ بجائزة "هيئة تعليم القرآن بنغلاديش" لنشر التعاليم الإسلامية، وذلك في عام 2004م بعد ست سنوات من وفاته.

6- منحت جائزة الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ بتقديم الدرع الذهبي لإسهامه في تأسيس الجامعة والتولي كالرئيس الأول لأمانتها[41].

3- نشاطاته الدعوية وخدماته الاجتماعية:

كان الشيخ عبد الجبار -رحمه الله- داعية إلى الله -سبحانه وتعالى- بالحكمة البالغة والموعظة الحسنة، وناصحا للأمة الإسلامية، بل للبشرية جميعا، فأنجز أعمالا جليلة تخدم الدعوة الإسلامية وتنفع الإنسانية، ومن أهمها:

أولا- تأسيس المدارس والمعاهد الإسلامية:

دخل الإسلام في بنغلاديش عن طريق التجار العرب والدعاة المخلصين في القرن الثامن أو التاسع الميلادي، فنشروا الإسلام بالدعوة الشفهية وبإنشاء المساجد مع المدارس الدينية، حتى جاء محمد بن بختيار الخلجي فاتحا لهذه الدولة، فجاء بعده فخر الدين مبارك شاه فأقام دولة مستقلة للمسلمين في هذه المنطقة[42].

ولكن تخلف مسلمو بنغلاديش عن العلوم الدينية بعد استيلاء البريطانيين على البنغال من 1757م إلى 1947م. وبعد استقلال الدولة عن سيطرتهم اهتم المربون بتأسيس المدارس لإعادة همم المسلمين وتعليمهم. ومن هؤلاء المربين الشيخ عبد الجبار، فبدأ إنشاءها ابتداء من الستينات من القرن الماضي إلى نهايته. وعدد المدارس التي أسسها الشيخ أكثر من مائة، فجمع بين العلوم الإسلامية التراثية، والعلوم المعاصرة، وتخرج فيها آلاف من الطلاب الذين يسهمون في تقدم الدولة وتطورها. وتلك المدارس تتنوع بأنواع مختلفة، حسب الاستقراء، وهي:

ونعنى بالمدارس التي تدرس فيها القرآن والسنة والعلوم الإسلامية التراثية مع العلوم العصرية من الانجليزية والرياضية والكيمياء والفيزيا والكمبيوتر، حسب منهج التعليم المقرر للمدارس الإسلامية -المعروفة بالمدارس العالية التي نحن الآن في صددها- من قِبل وزارة التعليم البنغلاديشية. ومن ناحية أخرى، توجد في بنغلاديش مدارس تسمى بالمدارس القومية.

نبذة تاريخية عن المدارس العالية

أ- أول من بنى المدرسة العالية في شبه القارة الهندية هو وارين هاستينغز (Warren Hastings) أول حاكم عام بريطاني على الهند، فأسَّس **المدرسة العالية** بكلكتا بالهند عام 1780م، وبعد 86 سنة أسِّست أول مدرسة قومية في الهند، وهي **دار العلوم** بديوبند. من هذه الناحية، نظام المدرسة العالية أقدم المدارس الإسلامية في الهند.

ب- بعد استقلال بنغلاديش في عام 1971م، أنشِئت "**منظمة إصلاح التعليم بالمدرسة**" عام 1973م، فقدمت توصيات مختلفة لتطوير منهج التعليم للمدارس الإسلامية، فأُدرجت المدارس العالية في مجلس التعليم لمرحلة الثانوية والمتوسطة، داكا.

ج- بناءً على توصية لجنة التعليم تحت قيادة قدرت خدا 1975م، تم إدخال المناهج الوطنية ذات تخصصات متعددة في المدارس العالية، كما تم تغيير منهج امتحان مرحلة "العالم" عام 1978م، وجُعل معادلا لشهادة الثانوية العامة(SSC) ؛ وامتحان مرحلة "الفاضل" عام 1980م معادلا لشهادة المتوسطة العامة (HSC).

د- وفي عام 1978م تم تشكيل مجلس مستقل للمدارس العالية باسم "**مجلس التعليم للمدارس (الإسلامية) بنغلاديش**"، فنقلت المدارس إلى هذا المجلس. وفي عام 1984م، تم تعديل مستوى تعليمها مع مستوى التعليم العام للدولة. فجُعلت مرحلة "**الابتدائية**" خمس سنوات، ومرحلة "**الداخل**" (الثانوية) خمس سنوات، ومرحلة "**العالم**" (المتوسطة) سنتان، ومرحلة "**الفاضل**" سنتان، ومرحلة "**الكامل**" سنتان، ما مجموعه 16 سنة كاملة. ثم تُغيِّر المنهج جُعل **امتحان الداخل** معادلاً لامتحان الثانوية العامة (SSC) واختبار العالم معادلا لاختبار المتوسطة العامة (HSC).

منذ تأسيس "مجلس التعليم للمدارس (الإسلامية) بنغلاديش" حتى عام 2006م ، كانت جميع الامتحانات المركزية للمدارس العالية البنغلاديشية، تنعقد تحت إشراف المجلس المذكور.

هـ- وفقًا لقانون الجامعة الإسلامية المعدَّل عام 2006م، تم تقديم مرحلة الفاضل ومرحلة الكامل إلى إشراف "الجامعة الإسلامية" بكُوشْتِيا بعد تطوير درجة مرحلة الفاضل معادلة لمرحلة البكالوريوس، ومدة دراستها ثلاث سنوات بدلا من سنتين، ودرجة مرحلة الكامل معادلة للماجستير، وبقيت مدته عامين.

د- وفي عام 2016م، تم إنشاء "الجامعة العربية الإسلامية" لمواصلة تطوير منهج التعليم للمدارس العالية بعد نقل مرحلتي الفاضل والكامل إليها من الجامعة الإسلامية كوشتيا[43].

وفقا لما سبق، فقد أسَّس الشيخ عبد الجبار —رحمه الله- تسعة عشر مدرسة مسجَّلة في "مجلس التعليم لمدارس بنغلاديش الإسلامية" أو مسجلة في "الجامعة العربية الإسلامية".

خلفية تاريخية لتأسيس مدارس بيت الشرف:

أسَّس الشيخ عبد الجبار ثلاث مدارس إلى مرحلة الداخل (الثانوية) لنشر العلوم الإسلامية ودعوتها، وتحقيق هدف تنمية المعارف الإسلامية السليمة في بنغلاديش، أولها سنة 1974م، وثانيها سنة 1975م، وثالثها سنة 1979م؛ ولكنه شعر بعد ذلك أنه يحتاج إلى تأسيس مدرسة كاملة نموذجية رائدة تكون بمثابة منارة عالية في أفق تعاليم بنغلاديش، فيستضيء منها أولياء المدارس الإسلامية، ويتبعون خطواته في درب نشر التعاليم الإسلامية.

عقد الشيخ عبد الجبار ندوة علمية في "مركز البحوث الإسلامية" في بيت الشرف- شيتاغونغ، بتاريخ 6 سبتمبر 1981م، بعنوان " مشكلات المدارس الإسلامية الراهنة في بنغلاديش وحلولها المرجوة"، فساهم فيها كبار علماء الدولة والمفكرين، وسلَّط الحاضرون الضوء على منهج التعليم الشامل الجامع بين الأصالة والمعاصرة، وفوَّضوا أمر إنشاء مدرسة نموذجية على غرار توصيات تلك الندوة إلى الشيخ عبد الجبار. عند إلقاء كلمة الرئيس، أعلن الشيخ بكل صراحة وجراءة: "بناءً على مقترحات العلماء والمربّين، سيتم قريبًا إنشاء مدرسة مثالية؛ حيث سيكون الطلاب بارعين في القرآن والأحاديث النبوية والمعارف الإسلامية من خلال الدراسة فيها، وفي الوقت نفسه سيكونون قادرين على قيادة المجتمع مع الجدارة، كما يقدرون على إمامة الصلاة"، وتم تشكيل لجنة متكونة من أحد عشر عضوا تحت قيادته[44]، فأسَّسوا "مدرسة بيت الشرف النموذجية الكاملة".

المدارس التي أسَّسها شيخ بيت الشرف تنقسم من حيث النوع والغرض وجهة الموافقة إلى أقسام عديدة:

1- المدارس الإسلامية المؤسسة على غرار منهج التعليم لـ"مجلس التعليم لمدارس بنغلاديش"، داكا:

كان من أهداف الشيخ إعداد علماء ربانيين يتعلمون العلوم الدينية ويزكون أنفسهم، كما يدعون الناس إلى الآخرين إليها بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالحسنى؛ فأسّس هذه المدارس ذات مراحل متعددة كما تلي:

أ- المدرسة التي تدرس فيها من الابتدائية إلى مرحلتي الفاضل (البكالوريوس مع الشرف) والكامل (الماجستير):

بناء على اقتراحات الندوة المنعقدة 1981/9/6م، واللجنة المكونة على إثرها، أسّس الشيخ ومساعدوه مدرسة موسومة بـ"مدرسة بيت الشرف النموذجية" بتاريخ 1982/1/1م في قلب مدينة شيتاغونغ، التي تدرس فيها من المرحلة الابتدائية إلى مرحلة الكامل. ومن الجدير بالذكر، أن المكان الغالي الذي أنشئت عليه المدرسة، أهداه إليه أحد محبيه لبناء دارٍ له ولعائلته، فوهبه الشيخ للمدرسة ابتغاء وجه الله —سبحانه وتعالى-، وهذه المدرسة حصلت على شهادة "أفضل المدارس في بنغلاديش" من قبل وزارة التعليم لجمهورية بنغلاديش الشعبية في سنتي 1991م و2000م[45].

ب- المدرسة التي تدرس فيها من مرحلة الابتدائية إلى مرحلة الفاضل (البكالوريوس) – مدرسة واحدة

أنشأ الشيخ "مدرسة بيت الشرف أخترية (إلى مرحلة الفاضل)" في محافظة ستكانيا سنة 1984م.

ج- المدرسة التي تدرس فيها من مرحلة الابتدائية إلى مرحلة العالم (المتوسطة) – مدرسة واحدة

أسّس "مدرسة بيت الشرف شاتغنبوز" في مقاطعة باغيرهات، خولنا سنة 1998م.

د– المدارس التي تدرس فيها من مرحلة الابتدائية إلى مرحلة الداخل (الثانوية) – 12 مدرسة

– "غورستان أختر العلوم داخل مدرسة"، محافظة لوهاغارا، شيتاغونغ، تأسيس 1974م.

– "أدهونغر أخترية داخل مدرسة"، محافظة لوهاغارا، شيتاغونغ، تأسيس 1975م.

– "صاند غازي جبارية إسلامية سُنّية داخل مدرسة" محافظة ساغَلْنَيًّا، فيني، تأسيس 1979م.

– "بيت الشرف لوهوري جبارية داخل مدرسة" محافظة صَوْدَّاغِرام، كُومِلَّا، تأسيس 1985م.

– "بيت الشرف جبارية داخل مدرسة"، مدينة رَنْغاماتي، تأسيس 1990م.

– "راجابالنغ بيت الشرف شاه جبارية داخل مدرسة للبنات"، محافظة أوكيا، كوكس بازار، تأسيس 1991م.

– "بيت الشرف جبارية داخل مدرسة النموذجية"، مدينة كهاغراصوري، تأسيس 1991م.

– "بيت الشرف جبارية داخل مدرسة" محافظة صَوْدَّاغِرام، كُومِلَّا، تأسيس 1991م.

– "بيت الشرف محمدية رياض الجنت داخل مدرسة"، محافظة تِيكْنافْ، كوكس بازار، تأسيس 1993م.

– "أُتّر غاتهارصارا بيت الشرف داخل مدرسة النموذجية"، محافظة لونغادو، رانغاماتي، تأسيس 1993م.

– "مدرسة بيت الشرف الجبارية النموذجية"، محافظة ستكانيا، شيتاغونغ، تأسيس 1996م.

– "خَنْدوكية أخترية داخل مدرسة للبنات"، محافظة هاتهازاري، شيتاغونغ، تأسيس 1998م.

هـ– المدارس التي تدرس فيها ما دون مرحلة الداخل – 4 مدارس

– "بيت الشرف شاه جبارية بريكيدت (Pre-Cadet) مدرسة"، محافظة صوكوريا، كوكس بازار، التأسيس 1992م.

– "مدرسة بيت الشرف الابتدائية"، محافظة أُوَكِيا، كوكس بازار، تأسيس 1994م.

– "مدرسة بيت الشرف الابتدائية المستقلة"، محافظة ناظربور، فيروس بور، تأسيس 1996م.

– "قدوس ميار هات بيت الشرف جبارية داخل مدرسة النموذجية"، محافظة شوناغازي، فيني، التأسيس 1997م.

2– تأسيس المدارس لتحفيظ القرآن الكريم – 15 مدرسة

رغبة في الحصول على ثواب تعليم القرآن، أسّس الشيخ 15 مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم، وهي:

– بيت الشرف شاه جبارية تحفيظ القرآن، باراغوف، قطبديا، تأسيس 1975م.

– بيت الشرف جبارية تحفيظ القرآن، عيدغاون، كُوكْسْ بازار، تأسيس 1976م.

– بيت الشرف شاه أختر العلوم تحفيظ القرآن، خَنْدوكية، هاتهازاري، تأسيس 1977م.

– بيت الشرف حافظية رحمانية تحفيظ القرآن، صونوتي، لوهاغارا، تجديد البناء سنة 1981م.

– بيت الشرف أخترية تحفيظ القرآن، دهونيوالا بارا، مدينة شيتاغونغ، تأسيس 1982م.

– مكرب بور بيت الشرف جبارية تحفيظ القرآن، نانغال كوت، كُوملَّا، تأسيس 1986م.

– دَكِّهين خان بور جبارية تحفيظ القرآن، باغِيرهات، كُهولْنا، تأسيس 1986م.

– بيت الشرف جبارية تحفيظ القرآن، أخترآباد، لوهاغارا، تأسيس 1990م.

– رام بورا بيت الشرف جبارية تحفيظ القرآن، ستكانيا، تأسيس 1993م.

– شاه جبارية تحفيظ القرآن، راتنابالنغ، أُوكِيا، تأسيس 1994م.

– أُوكِيا شاه جبارية تحفيظ القرآن، أُوكِيا، تأسيس 1994م.

– كهاغراصاري جبارية تحفيظ القرآن، آرام باغ، كهاغراصاري، تأسيس 1995م.

– بيت الشرف أخترية تحفيظ القرآن، رانغاماتي، تأسيس 1996م.

– "أُتّر غاتّهارصارا أخترية تحفيظ القرآن"، محافظة لونغادو، رانغاماتي، تأسيس 1996م.

– درغاه مورا قادرية تحفيظ القرآن، كلاوزان، لوهاغارا، تأسيس 1997م.

3– تأسيس الكتاتيب – 33 كُتَّابا

ولقد أسَّس الشيخ –رحمه الله– ثلاثة وثلاثين كُتَّابا لتنشئة البراعم على الدين والصلاح والجدارة.

4– تأسيس المدارس العامة الجامعة بين القيم الإسلامية والعلوم المعاصرة – 3 مدارس

أسّس الشيخ عبد الجبار –رحمه الله– المدارس العامة التي تجمع بين القيم الإسلامية والعلوم المتداولة في العصر الراهن، حسب متطلبات الزمان، وهذا النوع من المدارس ثلاثة، وهي:

– "بيت الشرف جبارية أكاديمي"، محافظة كوكس بازار، تأسيس 1993م.

– "بيت الشرف الأمين أكاديمي"، محافظة نواخالي، تأسيس 1986م.

– "مدرسة بارا هاتيا شاه جبارية الابتدائية"، شبه المحافظة لوهاغارا، شيتاغونغ، تأسيس 1987م.

5– تأسيس المدارس اليلية للمسنّين – 5 مدرسة

كثير من الناس جاهلون عن الدين، وأميون لا يعلمون القراءة والكتابة للفقر ولاشتغالهم بالحرف؛ ولقد أسس لهم الشيخ عبد الجبار –رحمه الله– خمسة مدارس في أماكن مختلفة.

ثانيا– مؤلفاته ومترجماته:

كان الشيخ عبد الجبار مدرسا، كان يحب العلم والعلماء والصالحين والبحث والباحثين، كما كان مؤلف الكتب وكاتب المقالات في موضوعات شتى، ومترجما للأخرى. وفيما يلي أسماء بعض الكتب التي ألفها الشيخ باللغة البنغالية، ونذكرها بعد ترجمتها إلى اللغة العربية، ونظمنا تسلسلها حسب تاريخ النشر.

أ– الكتب التي أَلَّفها الشيخ عبد الجبار:

أَلَّف الشيخ عبد الجبار –رحمه الله– عدة كتب صغيرة لم تتجاوز معظمها مائة صفحة، ومن أهمها:

1- (آداب الشريعة والطريقة)، طبع تحت عناية أنجمن اتحاد بنغلاديش، مكتب شيتاغونغ، الطبعة الأولى-1975م، عدد الصفحات 40.

2- (تفسير "أعوذ بالله")، طبع من مكتبة بيت الشرف شيتاغونغ، الطبعة الأولى-1977م، وعدد الصفحات 64.

3- (الأغاني من منظور الشريعة والمعرفة)، طبع من مكتبة بيت الشرف شيتاغونغ، الطبعة الأولى-1977م، والثانية عام 1991م، والثالثة عام 2013م، وعدد الصفحات 51.

4- (أهمية الأولياء من منظور الدولة والمجتمع)، طبع من مكتبة بيت الشرف شيتاغونغ، الطبعة الأولى-1982م، وعدد الصفحات 80.

5- (تعليم الصلاة والدين بالاختصار)، طبع من مركز البحوث بيت الشرف شيتاغونغ، الطبعة الأولى-1983م، وعدد الصفحات 104.

6- (تعليم الحج والزيارة)، طبع من مركز البحوث بيت الشرف شيتاغونغ، الطبعة الأولى-1988م، وعدد الصفحات 82.

7- (حقيقة الدعاء والمناجاة في ضوء القرآن والسنة)، طبع من مكتبة بيت الشرف شيتاغونغ، الطبعة الأولى-1989م، وعدد الصفحات 60.

8- (أهمية ذكر الله في ضوء القرآن والسنة)، طبع من مكتبة بيت الشرف شيتاغونغ، الطبعة الأولى-1991م، وعدد الصفحات 72.

9- (توصيات والمسائل الضرورية حول شهر رمضان)، طبع تحت عناية أنجمن اتحاد بنغلاديش، مكتب شيتاغونغ، الطبعة الأولى-1995م، عدد الصفحات 22.

10- (الأسماء الحسنى)، [أسماء مقترحة في تسمية الأولاد]، طبع من مكتبة بيت الشرف شيتاغونغ، الطبعة الأولى-1997م، وعدد الصفحات 98. وغيرها.

ب- الكتب التي ترجمها الشيخ عبد الجبار، من أهمها:

1- (بشارة الإخوان في خواصِّ القرآن) للشيخ مير محمد أختر، ترجمه عام 1973م، د.ط. عدد الصفحات 225.

2- (المنبّهات) للحافظ ابن حجر العسقلاني، طبع من مكتبة بيت الشرف شيتاغونغ، الطبعة الأولى-1977م، وعدد الصفحات 144.

3- (رفيق السالكين) للشيخ مير محمد أختر، طبع من مكتبة بيت الشرف شيتاغونغ، الطبعة الأولى-1976م، وعدد الصفحات 50.

4- (أربعون حديثا وأربعون نصيحة)، [ترجمة لأربعين حديثا، وأربعين مقولة ونصيحة للصحابة والعلماء بعدهم]، طبع من مكتبة بيت الشرف شيتاغونغ، الطبعة الأولى-1978م، وعدد الصفحات 48. وقد زوّد الكتاب بالمراجع والمصادر الشيخ محمد عبد الحي الندوي بن الشيخ عبد الجبار في الطبعة الخامسة عام 2012.

5- (تحفة العشَّاق) للشيخ إمداد الله المعروف بحاجي إمداد الله مهاجر مكي، طبع من مكتبة بيت الشرف شيتاغونغ، الطبعة الأولى-1986م، وعدد الصفحات 100.

6- (غذاء الروح) للشيخ إمداد الله المعروف بحاجي إمداد الله مهاجر مكي، طبع من مكتبة بيت الشرف شيتاغونغ، الطبعة الأولى-1988م، وعدد الصفحات 84.

7- (الجهاد الأكبر) لكاتب مجهول، ونقله من الفارسية إلى الشعر باللغة الأردوية، الشيخ إمداد الله المعروف بحاجي إمداد الله مهاجر مكي، طبع من مكتبة بيت الشرف شيتاغونغ، الطبعة الأولى-1991م، وعدد الصفحات 70.

8- (جذب القلوب إلى ديار المحبوب) للشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي، طبع من مكتبة بيت الشرف شيتاغونغ، الطبعة الأولى-1992م، وعدد الصفحات 264.

9- (أسرار الأحكام) للشيخ المفتي أحمد يار خان نعيمي، طبع من شاه عبد الجبار أكاديمي، الطبعة الأولى-1992م، وعدد الصفحات 120، وطبع ثانيا عام 1998م.

10- (حقائق عن التصوف) للشيخ عبد القادر بن عبد الله عيسى، طبع من مكتبة بيت الشرف شيتاغونغ، الطبعة الأولى-1992م، وعدد الصفحات 120.

11- (الإحسان) [آراء أحد عشر عالما هنديا في علم التصوف]، طبع من شاه عبد الجبار الشرف أكاديمي، الطبعة الأولى-1999م، وعدد الصفحات 232.

ثالثا- مساهمته في تأسيس الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ:

أول نواة للجامعة الإسلامية غرسها مولانا (الشيخ) "منير الزمان إسلام آبادي" السياسي والصحافي والكاتب ورائد الصحوة الإسلامية، الذي كان يحلم بتأسيس جامعة عربية إسلامية في منطقة شيتاغونغ منذ أمد بعيد. وقد تم اختيار مكان لها على ضفاف نهر كارنافولي في جبل ديانغ، وأخذ من الحكومة أرضا مسافتها 80.2682 هكتارا، كما أخذ من الإقطاعي المحلي علي خان 8.0937 هكتارات عام 1915م؛ ولكن لاشتغاله بالنشاطات السياسية واعتقاله لمعارضة الحكومة البريطانية تأخر تأسيس الجامعة. وأخيرا قام بوضع الحجر الأساسي الزعيم السياسي الهندي والمربي الشهير مولانا (الشيخ) شوكت علي عام 1935م. وقد زار مكانها، وأعجب به مولانا أبو الكلام آزاد، ومولانا أكرم خان، ومنسي رياض الدين أحمد، ومولانا محمد علي؛ ولكن مع الأسف الشديد، لم يتحقق حلمه العزيز بسبب عدم الاستقرار السياسي حتى وافاته المنية عام 1950م[46].

وقد تسلَّلت فكرة تأسيس جامعة إسلامية إلى خلفه الصالح من أبناء شيتاغونغ العلماء والمفكرون والمربون الإسلاميون، فبدؤوا يحملونها في أعماق قلوبهم، ويترقبون الفرصة السانحة، حتى وجدوها حينما أقرت

حكومة جمهورية بنغلاديش الشعبية في البرلمان الوطني "قانون الجامعات الخاصة –1992"، فانتهزوها، واتفقوا على تأسيس جامعة إسلامية، فوافقهم الشيخ عبد الجبار[47].

وقد عقد الشيخ برئاسته ندوة علمية في مركز البحوث الإسلامية في بيت الشرف بتاريخ 14 سبتمبر عام 1992م، شارك فيها عدد من الأساتذة والمفكرين الإسلاميين، فاتفقت كلمتهم على توسيد الأمر إلى الشيخ عبد الجبار، وجعله منسِّقا لجنة تأسيس "الجامعة الإسلامية شيتاغونغ"، وفي 6 أكتوبر من نفس السنة كوِّنت لجنة تنفيذ الجامعة الإسلامية شيتاغونغ من 51 عضوا. وبدأ التدريس بالجامعة في 1 أغسطس عام 1995م في دار مستأجرة في سوق بازار بمدينة شيتاغونغ بعد إتمام جميع الإجراءات اللازمة، وكان عدد الكليات ثلاث، وتحت كل كلية قسم، وهي:

أ– كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، وتحتها: قسم علوم القرآن والدراسات الإسلامية

ب– كلية العلوم الحديثة، وتحتها: قسم علوم الكبيوتر والهندسة

ج– كلية إدارة الأعمال، وتحتها: قسم إدارة الأعمال.

ومجموع الطلاب والطالبات 43 نسمة، وكان الشيخ أول رئيس لمجلس الأمناء واستمر في منصب الرئاسة إلى أن وافته المنية عام 1998م[48].

رابعا: – مساهمته في تأسيس المصرف الإسلامي (البنك الإسلامي المحدود في بنغلاديش):

كان علماء بنغلاديش يعظون الناس لمجانبة المعاملات الربوية، وبعضهم ألفوا المؤلفات لهذا المقصد العظيم؛ ولكن ما كان أمام الجماهير بديلا للمصارف الربوية، فيضطرون للالتجاء إليها عند الصرفة أو التجارة مع الدول الأخرى. وهذا الأمر أحزن الشيخ وأشغل باله، فلم يزل يفكِّر عنه، وفي الوقت نفسه ارتفع صوت أهمية المصارف الإسلامية في البلدان الإسلامية. فعقد الشيخ برئاسته مؤتمرا وطنيا لمدة يومين في مركز البحوث الإسلامية ببيت الشرف على محور "النظام المصرفي الخالي عن الفوائد الربوية"، وذلك في 26 و 27 إبريل عام 1981م، وحضرها نائب مدير المصرف المركزي البنغلاديشي كالضيف الرئيس، كما ساهم فيها كبار علماء الاقتصاد والمصرفيِّين والتجار[49].

وفي نوفمبر عام 1982م جاء وفد "المصرف الإسلامي للتنمية" (Islamic Development Bank) إلى داكا لتقييم إمكانية تأسيس المصرف الإسلامي المشترك في القطاع الخاص، وأوصوا بالاستثمار فيه من قبل المصرف الإسلامي للتنمية كمقاول؛ ولكن بسبب الأزمة المالية من شِقّة بنغلاديش، أصبح تنفيذ مبادرة تأسيس المصرف الإسلامي شاقًّا جدا.

وحينئذٍ، لعب الشيخ عبد الجبار دوره الفعّال؛ حيث إنه كوَّن شركة باسم "مؤسسة بيت الشرف المحدودة" بمساعدة أتباعه، وسجَّلها في 1982/6/12م حسب قانون الشركة، وأخذ من شركائها مليون تاكا (نقود بنغلاديشية) لشراء سهم "المصرف الإسلامي المحدود في بنغلاديش" وكان أكبر سهم من أسهم المصرف البنغلاديشية هو سهم المؤسسة[50].

وحَظِي المصرف الإسلامي برخصة تجارية بعد تسجيلها في شركة مساهمة في 13 مارس، 1983م؛ وبدأت نشاطات المصرف كاملة كأول مصرف إسلامي في دولة بنغلاديش بتاريخ 1983/8/12م([51]).

خامسا– تأسيس المستشفيات الخيرية:

لقد اهتم الإسلام بالصحة والعافية، وأمر النبي ﷺ باغتنام الصحة قبل السقم قائلا: "اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناءك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك"([52])، ولكن معظم المسلمين في الدول النامية يعانون من المرض وزال الصحة المرجوة، ولا يجدون العلاج المناسب. وأما الفئة القليلة الغنية فيذهبون للمعالجة إلى الدول الراقية. فكَّر الشيخ عبد الجبار في الفئة الفقيرة، الذين ليس لديهم استطاعة الذهاب إلى الخارج ولا يجدون العلاج المناسب لندرتها وقلة المستشفيات الحكومية؛ فلذلك أسّس المستشفيات الخيرية لغرض خدمة الإنسانية الجمعاء بغض النظر عن اللون والطائفة والديانة. بعد التفحص والاستقراء وجدنا ستة مستشفيات، وسنذكر منها واحدة أنموذجا، وهي:

مستشفى بيت الشرف بمحافظة كُوكْس بازار:

مدينة كُوكْس بازار تتمثل مركزا لمحافظة كوكس بازار التابعة لقسم شيتاغونغ، وتبعد عن مدينة شيتاغونغ 159 كيلومترا، وكان لكل قسم من أقسام بنغلاديش كلية طبية مع المستشفى. فعلى هذا، كلية قسم شيتاغونغ الطبية كانت تقع في مدينة شيتاغونغ منذ أواخر العهد الباكستاني، في حينٍ كانت المواصلات بين المدينتين ليست على ما يُرام. في هذا الظرف الحرج أسّس الشيخ عبد الجبار مستشفى بيت الشرف، كوكس بازار في نطاق ضيق عام 1992م لترسيخ الوعي الديني والقيم الإنسانية في السياق الاجتماعي والاقتصادي والتفكير في قضايا عامة الناس لتلك المنطقة؛ وابتداءً من عام 1997م بدأت الخدمات الطبية كاملةً منضمةً بمستشفى العيون المشتملة على المرافق الحديثة، وينتفع منها الجميع على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية، والمهنية، والدينية والطائفية مجَّانا أو بتكلفة يسيرة([53]).

سادسا– مساهمته في إغاثة المصابين بالكوارث الطبيعية:

طقس بنغلاديش استوائي شتوي، لموقعها في مدار السرطان، فيكون معتدلا من شهر أكتوبر إلى مارس، وحارًّا ذو رطوبة من شهر مارس إلى يوليو، وتهب الرياح الموسمية المشتملة على الحرارة والرطوبة التي تزيد إمكانية نزول المطر الغزير المسببة للفيضانات. وفقًا لمؤشر مخاطر تغير المناخ العالمي لعام 2017 ، تحتل بنغلاديش المرتبة السادسة في العالم كدولة ذات مخاطر مناخية. ولقد أصيبت بنغلاديش بالكوارث الطبيعية عدة مرات، فسببت أضرارًا كبيرة للبيئة الطبيعية والموارد البشرية والاقتصادية. فيُذكَر على سبيل المثال، أنه أصيب حوالي عشرون مليون نسمة في المناطق الساحلية لخليج البنغال بالفيضانات في عامين 1988م، و2007م، حيث فقدوا دورهم وبيوتهم، ومزروعاتهم، والموارد الحيوانية والنباتية؛ وفي عام 1991م مات نحو مائة وخمسين ألف شخص في

مقاطعة شيتاغونغ وكوكس بازار. وتتضرر بالفيضانات والأعاصير في كل عام نحو 3.2 مليار دولار أمريكي، وهو ما يمثل 2.2 في المائة من الناتج المحلي الإجمالي(54).

وكان الشيخ إذا وجد خبرا لكارثة طبيعية سارع إليها بنفسه وأعوانه المتطوِّعين مع كل ما عنده من عُدَّة وعُتاد، ويُغيثهم بالأطعمة والأشربة والنقود والأدوية والألبسة، ويقوّي معنوياتهم بالنصيحة بالصبر وأجره الجزيل عند الله –سبحانه وتعالى–، كما حدث ذلك عام 1985م في إقليم شيتاغونغ وسلهت، وفي عام 1988م في إقليم داكا، وفي عام 1991م و1996م في إقليم شيتاغونغ. وفي هذه الحال كان يُعين المصابين بغض النظر عن المسلم وغير المسلم. وأعجب كثير من غير المسلمين بخدمته وسماحته، واعتنق الإسلام على يده أكثر من مائة(55).

سابعا– النشاطات الدعوية:

كان الشيخ عبد الجبار داعية كبيرا ومصلحا عظيما، قضى حياته في خدمات العلوم الإسلامية والنشاطات الدعوية، وجهوده الدعوية تنقسم إلى عدة أقسام، وهي:

1– النشاطات الدعوية في المناطق الجبلية ردًّا للمنصرّين:

قاطنو المناطق الجبلية محرومون من المرافق المواطنية؛ فانتهز المنصِّرون هذه الفرصة السانحة واستهدَفوهم لردّهم عن دينهم الحنيف، فأنشؤوا المؤسسات غير الحكومية بأسماء مختلفة التي تسهم ظاهرا في التعليم والتربية، والخدمات الصحية، والإغاثة؛ وفي الباطن تخدم الديانة النصرانية المحرَّفة لتحقيق أهداف سرّية. ردًّا لفعلهم القبيح، بدأ الشيخ عبد الجبار نشاطاته الدعوية في المقاطعات الجبلية الثلاث: بندربان، ورانغاماتي، وكهاغراصري، وأسّس لكل منطقة "مجمَّع بيت الشرف"، وتحت كل مجمَّع مسجد، ومدرسة ومستشفى خيرية. فهذه المعاهد بمثابة المنارة المنيرة في المناطق الجبلية.

2– إقامة حفلات المواعظ الدينية عبر البلاد كلها:

كان الداعية الشيخ عبد الجبار يفكِّر في وسائل تبليغ الدين إلى الناس، فرأى ثمة وسيلة شائعة بين مواطني بنغلاديش، وهي حفلات المواعظ الدينية، فأراد أن ينتهز هذه الفرصة الذهبية لنشر الدعوة الإسلامية، وهي على أنواع:

أ– المسابقات التمدنية بمناسبة ميلاد النبي ﷺ المقدَّس في شهر ربيع الأول:

توجد في بنغلاديش وما جاورها من البلاد مراسم دينية باسم "الاحتفال بعيد ميلاد النبي ﷺ" التي تنعقد فيها الأعمال البدعية والشركية، فأراد الشيخ أن يغيّرها ببديل، ورَّج حفلة "المسابقات التمدنية بمناسبة عيد ملاد النبي ﷺ المقدس" ابتداء من عام 1984م، وما زالت باقية. وفي الحال تنعقد هذه المسابقة طوال أربعة أيام من اليوم التاسع إلى اليوم الحادي عشر من شهر ربيع الأول.

ب– سيرة النبي ﷺ:

كان في مسقط رأسه تقام حفلة مصارعة الثيران، ومصارعة الشِداد من الرجال في اليوم الثاني عشر والثالث عشر من شهر بَيْشاكْ أول شهر من أشهر التقويم البنغالي، وكان يشرف عليها رجل ثري من أثرياء القرية. فلما حضرته المنية أوصى أبناءه ليصلى عليه صلاة الجنازة ويؤم عليه الشيخ؛ ولكن الشيخ امتنع عن الصلاة عليه فألحّ عليه الأبناء، فأخذ الشيخ عنهم الميثاق الغليظ للانتهاء من هذا العمل الشنيع، فصلى عليه. وأبدل حفلة المصارعة بسيرة النبي ﷺ في عام 1977م، وسمَّى الجبل الذي تقام فيه المصارعة بجبل السيرة. وهكذا أبدل حفلة العرس التي تقام على ضريح "بير أولياء" وتنعقد فيها الأعمال غير المشروعة، بحفلة سيرة النبي ﷺ[56].

ج– إيصال الثواب:

روّج الشيخ مير أختر –شيخ عبد الجبار– حفلة إيصال الثواب كمناسبة اجتماع لأتباعه ومحبيه في أماكن مختلفة منذ سنة 1942م، ولكن بداية من 1953م تنعقد في كوميراغونا –مكان ولادة الشيخ عبد الجبار–، والمشاركون في هذه الحفلة يتهجدون ويذكرون الله تعالى ثم يدعونه جماعيا، ومن بعد صلاة الظهر إلى صلاة العصر يقود شيخ الطريقة الحالي لبيت الشرف، حفلة الدعاء والابتهال مع المصلين الحاضرين[57]، وفي الدعاء يطلبون من الله –تعالى– أن يوصل ثواب عباداتهم إلى أرواح الموتى المسلمين.

ومن حفلات إيصال الثواب "فاتحة يازدهم" التي كان يعقدها مشايخ بيت الشرف. كلمة "فاتحة" تعنى بها في عرف شبه القارة الهندية، قراءة الفاتحة وإهداء ثوابها إلى الميت المعيَّن[58]، وكلمة "يازدهم" فارسية، ومعناها: الحادي عشر. فالمراد بالكلمتين: حفلة اليوم الحادي عشر من شهر ربيع الثاني بمناسبة وفاة الشيخ عبد القادر الجيلاني –رحمه الله– لإهداء الثواب إلى روحه، لأن الطريقة الصوفية التي يتبعها الشيخ عبد الجبار وشيخه مير أختر، هي الطريقة القادرية. وهذه الحفلة تنعقد في مدينة كوكس بازار. وتنعقد هذه الحفلة طوال ثلاثة أيام ولياليها، يذكر فيها اسم الله، ويوعظ الناس، ويختم القرآن الكريم وصحيح البخاري، ويصلَّى ويسلَّم على النبي ﷺ، وتختم الحفلة بالدعاء الجماعي الطويل، كما هو معروف لدى الجميع.

د– الاحتفال بالليالي الدينية المشهورة:

كان الشيخ يعقد حفلات المواعظ والإرشاد في الليالي الأهمية في نظر الشارع أو في نظر الناس، يذكرهم فيها فضل تلك الليلة، ويعلمهم الأحكام الشرعية المتعلقة بها، ويصلي معهم النافلة ثم يدعو الله للمسلمين جميعا أحياء وأمواتا. ومن هذه الليالي ليلة الإسراء والمعراج، وليلة النصف من شعبان المشهورة في شبه القارة الهندية بليلة البراءة، وليلة القدر، وليلة العاشوراء.

خاتمة

في نهاية المطاف فضَّلنا أن نذكر أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث:

1- وُلد الشيخ عبد الجبار في منطقة تانغو من دولة مايانمار سنة 1933م، ولكنه بنغلاديشي الأصل والنشأة، فكان ينتمي إلى قرية باراهاتيا من محافظة لوهاغارا من مديرية شيتاغونغ، بنغلاديش. ورث من النبي ﷺ وراثة اليتم، حيث توفِّي أبوه وهو ابن ثلاثين شهرا، فربّته أمه تربية حسنة.

2- لقد أثبت علم النفس أن الصفات الأخلاقية الموجودة في داخل الإنسان تنتقل إلى ذريّته عبر الجينيات الوراثية، بناء على هذا، نرى أن صفات أبويه من حب العلم والعلماء والصالحين والزهد وخدمة الخلق منعكسة عليه، فنشأ نشأة عادية، ولكن ظهر فيه أمارات النجابة والامتياز عن الآخرين من أقرانه، فكان لا يحب الفوضى واللهو واللعب، وكان قانعا بما تيسر له من الطعام والشراب، كما كان ملتزما بأداء الصلوات الخمس مع الجماعة منذ صغره.

3- بدأ عبد الجبار يتعلم القرآن الكريم على يد أمه الحنون، فذهب إلى جارٍ له فأتم تلاوة القرآن وبعض الكتب الابتدائية عنده، ثم التحق بالمدرسة الغارنغية عام 1940 ودرس فيها إلى مرحلة الفاضل، ثم التحق بمدرسة دار العلوم في مرحلة الكامل (التخصص في الحديث النبوي) وتخرج فيها عام 1953م، وحصل على شهادة "ممتاز المحدثين".

4- "البيئة تؤثّر على الفرد" هذه الحقيقة تبرز في شخصية الشيخ حيث نشأ في قرية يسودها الدين الورع والزهد، ودرس في مدارس يديرها العلماء المتصوِّفون، ومدرسوها متصوفون، فأشرب في قلبه حب التصوف، وانتهج منهجه، وأخذ البيعة من شيخه مير محمد أختر عام 1948م على الطريقة القادرية والمجددية السائدتان في شبه القارة الهندية.

5- كان يحب النشاطات الثقافية من قرض الأناشيد الإسلامية باللغة الفارسية والأردوية وتلاوة القرآن الكريم بصوت حسن منذ صغره، وفي كبره نظَّم جمعية باسم "جمعية النهضة للفنَّانين" عام 1996م يرأسها ابنه الأصغر الشاعر محمد عبد القيوم.

5- بدأ مهنة التدريس عام 1954م بالمدرسة الواجدية العالية، كأستاذ مساعد، ثم رُقِّي إلى منصب المحدث لإخلاصه في العمل والبراعة، فكان يدرِّس فيها الكتب الستة، ثم أسَّس مدرسة بيت الشرف النموذجية فكان هو المدير الأول حسب قانون وزارة التعليم إلى عام 1997م، ثم عُيِّن كرئيس المدرسة بغير رواتب إلى أن توفِّي -رحمه الله-.

6- للشيخ مناقب جمة وفضائل عظيمة، فكان متواضعا، ومقتصدا في المأكل والملبس، وورعا زاهدا في الدنيا، عاملا بالعزيمة، وملازما بالنوافل والتطوعات، وذاكرا لله كثيرا، وأمينا وفيًّا، وآمرا بالمعروف والناهي عن المنكر، ومتوكِّلا على الله، ومعتمدا على ذاته فلا يتكفَّف إلى الناس لأجل مصلحته الشخصية، وكريما سخيا، وسمحا في التعامل مع الناس، وصاحبا للأفكار الراقية ومنفذّها، وحصل على الجوائز الكثيرة لخدماته الاجتماعية.

7- عمل لنشر الإسلام في أنحاء البلاد، فأسَّس مدارس إسلامية تُدرس فيها القرآن والسنة والفقه مع المواد المعاصرة، فأسَّس مدرسة إلى مرحلة الكامل (الماجستير)، ومدرسة إلى مرحلة الفاضل (البكالوريوس)، ومدرسة

إلى مرحلة العالم (المتوسطة)، واثنتا عشرة مدرسة إلى مرحلة الداخل (الثانوية)، وأربعة مدارس ما دون مرحلة الداخل، وخمس عشرة مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم، وثلاثة وثلاثين كتَّابا، وثلاث مدارس عامة تجمع بين القِيم الإسلامية والعلوم المعاصرة، وخمس مدارس ليليَّة للمسنين، كما أَلَّف عشرات الكتب الإسلامية في موضوعات شتى، وترجم عشراتها.

8- ساهم في تأسيس الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ عام 1995م، بتزويد الأفكار والدعم المادِّي، فكان أول رئيس لمجلس الأمناء إلى أن وافته المنية عام 1998م.

9- كما أسهم في تأسيس المصرف الإسلامي (البنك الإسلامي المحدود في بنغلاديش) عام 1983م بالدعم المادِّي والمعنوي، وكان السهم الأكبر من أسهم البنغلاديشيين هو سهم مؤسَّسة بيت الشرف المحدودة التي أسَّسها الشيخ عبد الجبار بمساعدة محبيه وأتباعه.

10- كان يخدم الإنسانية بتأسيس المستشفيات الرقية الخيرية في أماكن مختلفة، ويساعد المصابين بالكوارث الطبيعية من الفيضانات والزلازل والأعاصير، ويعمل لتوظيف الناس وإغنائهم عن التسوُّل واعتمادهم على ذواتهم. رحم الله الشيخ عبد الجبار رحمة واسعة، وغفر له، وتقبَّل جهوده الدعوية وخدماته الاجتماعية.

المصادر والمراجع

[1] - محمد عبد الحي، **الأسرار**، مركز البحوث الإسلامية بيت الشرف، شيتاغونغ، ط1، 1997م، ص 103.

[2]- الندوي، محمد عبد الحي، **الشيخ عبد الجبار: السالك الروحي والمصلح الاجتماعي**، مركز البحوث الإسلامية بيت الشرف، شيتاغونغ، ص 158.

3- **المصدر نفسه**، ص 127.

4- **سورة الأنعام**، الآية: 38

[5]- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي، **تفسير القرآن العظيم** (المعروف بتفسير ابن كثير)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1999م، ج 3، ص 253.

[6]- سورة الأعراف، الآية: 58.

[7]- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** (المعروف بتفسير الطبري)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، بولاق، مصر، ط 1، 2001م، ج 10، ص 257.

[8]- الألباني، محمد ناصر الدين، **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، المكتب الإسلامي، بيروت، ج 1، ص 613، الرقم: 3218

[9]- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الجامع الصغير وزياداته، المكتبة الشاملة، الرقم: 5536.

[10]- ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، **السنن**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط 1، 2009م، ج 3، ص 141، الرقم: 1968،

وقال الشيخ الأرنؤوط: حديث حسن بطرقه وشواهده.

[11]- الألباني، محمد ناصر الدين، **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1، 1995م، ج 3، ص 57، الرقم: 1067.

[12] - https://www.dorar.net/hadith/sharh/130691, Retrieved at 15/04/2023.

[13]-https://www.alraimedia.com/article/804213/ محليات/الأخلاق-والجينات-الوراثية.

[14]- محمد شاه جهان، **حياة شاه عبد الجبار وفضله**، الحاج طاهر سبحان، شيتاغونغ، ط2، 2012م، ص 20-22.

Mohammad Shah Jahan, ***The life and virtues of Shah Abdul-Jabbar***, Published by Al-Haj Taher Subhan, 2nd edition, 2012, P. 20-22.

[15]-https://www.alraimedia.com/article/804213/ محليات/الأخلاق-والجينات-الوراثية

[16] - http://104569.ebmeb.gov.bd, Retrived at 17/04/2023.

[17]- د. أحسن سيد، **دراسة الحديث في بنغلاديش: نشأتها وتطورها** (بنغلاديشِ حديث سورسا: أتفتتي أُو كرومو بيكاش)، إيدن فابليكيشن، داكا، ط 2، 2006م، ص 60.

[18]- سورة العنكبوت، رقم الآية: 69.

[19]- الندوي، محمد عبد الحي، **السالك الروحي والمصلح الاجتماعي الشيخ عبد الجبار**، المصدر السابق، ص 127.

[20]- المصدر السابق، ص 130.

[21]- كي، إم، محفوظ الكريم، **إسهام الشاه مولانا محمد عبد الجبار في العلوم**، منشورات هوملند، شيتاغونغ، بنغلاديش، ط 1، 2004م، ص 33.

[22]- ينظر: محمد محبوب الرحمن، **إسهام بيت الشرف في التعليم والخدمات الاجتماعية**، 102-114.

[23]- الندوي، عبد الحي، ابن الشيخ عبد الجبار، وخليفة خليفته.

[24]- جريدة انقلاب اليومية، 26 مارس 1998م.

[25]- أحسن سيد، **دراسة الحديث في بنغلاديش: نشأتها وتطورها**، ص 52.

[26]- تشودهوري، أ.ن.م. شمس العالم، المدير السابق للمدرسة العالية عالمشاه بارا، رانغونيا، شيتاغونغ، من زملاء الشيخ عبد الجبار، مقابلة شخصية.

[27]- سورة الأعراف، رقم الآية: 26.

[28]- الترمذي، محمد بن عيسى، **السنن**، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1975، رقم: 2819.

[29]– أحمد بن حنبل، **المسند**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، رقم: 58/24009، حسَّنه الأرنؤوط.

[30]– أبو داود، سليمان بن الأشعث، **السنن**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط1، 2009، رقم: 4161.

[31]– ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، **الاستذكار**، تحقيق: سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م، ج1، ص329.

[32]– الندوي، محمد عبد الحي، **الشيخ عبد الجبار شيخ بيت الشرف رائد الصحوة الإسلامية**، ص72.

[33]– أبو الحيَات محمد طارق، "مجاهدات الشيخ"، **مجلة الشرف**، بيت الشرف أنجمن اتحاد بنغلاديش، فرع كوكس بازار، 1991م، ص20-21.

[34]– محمد جعفر الله، **ثلاث دُرر لبيت الشرف**، مركز البحوث الإسلامية، بيت الشرف، شيتاغونغ، د.ط.، 2010م، ص 34.

[35]– الندوي، محمد عبد الحي، **الشيخ عبد الجبار: السالك الروحي والمصلح الاجتماعي**، ص17-18.

[36]– الندوي، عبد الحي، **الشيخ عبد الجبار شيخ بيت الشرف رائد الصحوة الإسلامية**، ص200.

[37] https://www.annajah.net/ مهارة-الاعتماد-على-الذات-أهميتها-وكيفية-تطويرها-article-34539

[38]– التويجري، محمد بن إبراهيم، **مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة**، دار أصداء المجتمع، القصيم-بالسعودية، ط11، 2010م، ص708.

[39]– الندوي، محمد عبد الحي، **الشيخ عبد الجبار شيخ بيت الشرف رائد الصحوة الإسلامية**، ص85.

[40]– المصدر نفسه، ص 72.

[41]– محمد جعفر الله، **مرآة بيت الشرف**، بيت الشرف أنجمن اتحاد، شيتاغونغ، ط1، 2011م، ص 55-56.

[42]– ينظر: د. عبد الكريم، **الإسلام وتراثه في شيتاغونغ** (شاطَّغرام إي إسلام أُو أيتجّا)، جاتيا شاهتّو براكاش، داكا، بنغلاديش، 2018، ص 31.

[43] - https://bn.wikipedia.org/s/bfwm, Retrieved at 11/05/2023.

[44]– عيسى شاهدي، **دليل تاريخي لمدرسة بيت الشرف النموذجية**، ص 25.

[45]– محمد جعفر الله، **مرآة بيت الشرف**، ص 54.

[46] - https://www.banglanews24.com/islam/news/bd/735122.details, Retrieved at 25/04/2023.

[47]– أبو بكر محمد رفيق، "ذكريات رجل عظيم نادر" **الشيخ عبد الجبار: السالك الروحي والمصلح الاجتماعي**، ص 13.

[48]- ريحان آزاد، **مائة رجل عظيم في شيتاغونغ**، مركز البحوث والدراسات الأخلاقية، شيتاغونغ، 2016، ج 4، ص 77-78.

[49]- الندوي، محمد عبد الحي، **الشيخ عبد الجبار شيخ بيت الشرف رائد الصحوة الإسلامية**، ص177.

[50]- المصدر نفسه، ص 197.

[51]- منشورات البنك الإسلامي المحدود في بنغلاديش.

[52]- النيسابوري، محمد بن عبد الله الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، رقم: 7846.

[53]- https://www.coxsbazarnews.com/archives/103019.html

[54]- محمد سليم الدين، "ظاهرة التسوُّل في بنغلاديش: دراسة تحليلية"، **مجلة رفوف**، المجلد: 11، العدد: 1، ص 717-744.

[55]- محمد شاه جهان، **حياة شاه عبد الجبار وفضله**، ص 155-170.

[56]- ك. إم. محفوظ الكريم، إسهام الشيخ عبد الجبار في العلوم والفنون الإسلامية، مطبعة هُملند، شيتاغونغ، ط1، 2004م، ص 65.

[57]- محمد عبد الجبار، "خصائص حفلة إيصال الثواب في أختر آباد (كوميرا غونا)"، **جريدة كورنوفولي اليومية**، 1996/1/13م.

[58]- لجنة من العلماء، **موسوعة بنغلا** (بنغلابيديا)، المجتمع الآسيوي بنغلاديش، داكا، 2003 ج 6، ص 55.